

● مقدمة الكتاب :

الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد ، وخص أهل طاعته بالهداية إلى سبيل الرشاد ، ووقفهم بلطفه لصالح الأعمال ، ففازوا ببلوغ المراد . أحمده حمد محترف بجزيل الإرفاد^(١) وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدرها ليوم المعاد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، موضح طريق الهدى والسداد ، قاصع الجاحدين والملحددين من أهل الزيغ والعداء ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله الأكرمين الأجواد ، صلاة تبلغه بها نهاية الأمل والمراد .

وبعد : فإنني كنت وقفت مرة على كتاب : « منهاج القاصدين » للشيخ الإمام العالم الأوحى ، جمال الدين ابن الجوزى البغدادي - رحمه الله تعالى - ، فرأيت من أجل الكتب وأنفعها ، وأجمعها فوائد ، فحصل عندي بموقع ، ورغبت في تحصيله ومطالعة ، فلما تأملت ثانياً ، وجدته فوق ما كان في نفسي ، لكن رأيت كتاباً مبسوطاً ، فأحببت أن أعلق منه هذا المختصر الذي قد احتوى على أكثر مقاصده ، وجُلَّ مهماته وفوائده سوى ما ذكر في أوائله من مسائل ظاهرة تتعلق بالفروع ، فإنها مشهورة في كتب الفقه المستفيضة بين الناس ، إذ كان المقصود من الكتاب غير ذلك .

ولم أترجم فيه المحافظة على ترتيبه وذكر ألفاظه بعينها ، بل ذكرت بعضها بالمعنى قصداً للاختصار ، وربما ذكرت فيه حديثاً أو شيئاً يسيراً من غيره إن كان مناسباً له ، والله أعلم .

وأسأل الله الكريم أن ينفعا به ، ومن نظر فيه أو قرأه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يختم لنا بخير ، ويوفقنا لما يرضاه من القول والعمل والنية ، وأن يسامحنا في تقصيرنا ، وتفريطنا ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقه ، فإنه حسبنا ونعم الوكيل .

قال المصنف^(٢) - رحمه الله عليه - بعد فراغه من هذه الخطبة : أما بعد : فإنني رأيتك أيها المرید الصادق ، والحازم العازم ، قد وطنت نفسك على التخلي عن فضول الدنيا الشاغلة ، وعزمت على الانقطاع إلى الآخرة ، علماً منك أن مخالطة الخلق توجب التخليط ، وإهمال المحاسبة للنفس أصل التفريط ، وأن العمر إن لم يستدرك أدركه الفوت ، وأن مراحل الأنفاس تسرع بالراكب إلى منزل الموت . فنظرت أي أنيس من

(١) الرّفد : العطاء والمئةة ، والإرفاد : الإعطاء والإعانة . (٢) يعنى ابن الجوزى - رحمه الله - .

الكتب تستصحبه في خلوتك ، وتستطقه في حال صمتك ، فإذا أنت تؤثر كتاب « إحياء علوم الدين » وتزعم انفراده في جنسه ، ونفاسته في نفسه . فاعلم أن في كتاب « الإحياء » آفات لا يعلمها إلا العلماء . « وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعية والموقوفة ، وقد جعلها مرفوعة ، وإنما نقلها كما رآها لا أنه اختراها ، ولا ينبغي التصبد بحديث موضوع ، والاعتزاز بلفظ مصنوع . وكيف أرتضى لك أن تصلى صلوات الأيام ولياليها ، وليس فيها كلمة قالها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . وكيف أوتر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به^(١) ما لا حاصل له من الكلام في الفناء ، والبقاء ، والأمر بشدة الجوع ، والخروج إلى السياحة في غير حاجة ، والدخول في الفلاة بغير زاد ، إلى غير ذلك مما قد كشف عن عواره^(٢) في كتابي المسمى بـ (تليس إبليس)^(٣) ،^(٤) .

وسأكتب لك كتاباً يخلو عن مفسده ، ولا يخل بفوائده ، أعتمد فيه من النقول الأصح والأشهر ، ومن المعنى الأثبت والأجود ، وأحذف ما يصلح حذفه ، أزيد ما يصلح أن يزداد . ثم قال بعد ذلك : وإذ قد صح عزمك على العزلة لاستيفاء حق الحق من النفس ، والأخذ على يدها ، فليكن وكيلك عليها العلم ، وكن باحثاً عن دقائق هواها لعلك تسلم ، واحذر سبيل أحد رجلين :

١ - عالم عرف الجدل في الفقه واقتنع برئاسته ، أو نال القضاء فسمى في حفظ منزلته ، أو زخرف الوعظ فضيق أعين شبكته .

٢ - أو زاهد يتقلب برأيه الفاسد في جهالته ، ويتقرب بتبجيل يده واعطاد بركته ، ويعمل بهواه دون شرع الله وسنته .

فهذان عادلان عن منهاج الصواب ، مقتنعان بقشور الأعمال عن خالص اللباب ، خادعان للمبتدئين بلامع السراب ، وطريقهما بمعزل عن سنن السلف الصالح الذي هو جادة الاستقامة وطريق السلامة . وسأدرج لك في هذا الكتاب إن شاء الله من أخبارهم ما يدل على آثارهم .

□ تقسيم الكتاب :

وكتابتنا هذا يحتاج إليه المنتهى ، كما يفتقر إليه المبتدى ، لأن فيه أسرار العبادات ، والتحذير من آفات المعاملات . وقد جعله المصنف أربعة أرباع : الأول : ربع العبادات والثاني : ربع العادات . والثالث : ربع المهلكات . والرابع : ربع المنجيات . وكل واحدة من هذه الأقسام الأربعة يشتمل على كتب ، وأبواب ، وفصول .

(١) يعنى الإمام الغزالي . (٢) عواره : عيبه . (٣) أصدرته مكتبة القرآن بتحقيق محمد على أبو العباس .

(٤) ما بين المعرفين ليس في متن المخطوطة بل هو مما هو نُتبت على الهامش .